فجر الهدى والإيمان

صحابيات حول الرسول صلى الله عليه وسلم

رُقيّـــــة

بنتُ ســـيد البـــشر

صلى الله عليه وسلم

١٤

إعداد : زهير مصطفى يازجي

مراجعة : يوسف عساني

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بحلب ولايجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .

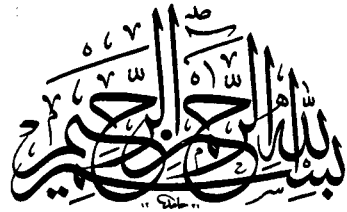

مَنْشُورَاتُ
دَارِ ٱلقَلَمِ ٱلعَرَبِيِّ بِحَلَب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف ٢١٢١٢٩ - ص.ب: ٧٨ - تلكس: ٣٣١٦٩٢ ريفكو

رُقّـيـــة

ولادة رقيــة

غمرت الفرحة والغبطة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقد ولدت له خديجة بنت خويلد البنت الثانية بعد زينب . ووقف النبي ، صلوات الله عليه شاكرا الله عز وجل ، خاشعا لله الذي وهبه رقية الطاهرة ، المطهرة ، الوفية المهاجرة ، صاحبة الهجرتين . وأخذها ، صلى الله عليه وسلم بين يديه الطاهرتين ، ودموع الفرح دموع الأب الحنون تكاد تذرفُ من عينيه ، ليضمَّها إلى صدره ، وليحمد الله ...

وترعرعت رقية في أسرة كريمة مؤمنة تقية صادقة ، فرُبيّت أحسن التربية ، فكانت مثالا يحتذى في الصدق والتُقى .

وتركض الأيام ، والطفلة رقية تركض فيها السُنون ، يحفُّها أب كريم رحيم ، وترعاها أم طاهرة كريمة . إلى أن بلغت ريعان الصبا، كوردة جورية تفتقت أكمامها على ندى الصباح النضير.

فصارت قبلة للناظرين ، ومطمعا للخاطبين ، وأملا للآملين ، وأمَّتِ البيت المحمدي وفود آل عبد المطلب ، يرجون التَقرُّبَ إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويتطلعون إلى مصاهرته .

فقال سيدهم أبو طالب :

– لعلك ياابن أخي ترى في بني عمك مَنْ هو كفءٌ للزواج من ابنتك رُقية ، وإنا جئناك نطلب رقية لابن عمك عتبة بن أبي لهب، وإنه والله لايقل شرفا ونسبا عن أبي العاص بن الربيع(١) ، فماذا تقول ؟ .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

– " لاتقول إلا الصدق ياعم ...

ودخل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم على ابنته رقية يريد أن يأخذ رأيها على عادته ، صلى الله عليه وسلم في تزويج بناته :

---

(١) زوج زينب بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

فاحمرت وجنتا رقية رضي الله عنها خجلا وخفراً[1] ، ولم تنبس ببنت شفة[2] ، بل صمتت وسكتت راضية .

ولم تكنْ مثل رقية أَن تُحرِجَ أباها أمام قومه أو ترفضَ له طلبا . فتمَّ الزواج الميمون ، وخرج الزوجان ، تحرسهما أعين نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويدعو لهما بالسعادة والهناء ، وأن يُمنَّ عليهما الله بذرّيةٍ صالحةٍ .

وأمّا أمها خديجة بنت خويلد ، رضي الله عنها فقد ودعت ابنتها بالدموع ، حزينةً ، آسفةً ، كاسفة على فراق ابنتها . واتجهت إلى الله عز وجل أن يبارك هذا الزواج ويرعاه ، ثم انصرفت إلى رعاية زوجها ، عليه الصلاة والسلام ، وتأمين سُبُل الراحة والطمأنينة له وإلى رعاية ابنتها المدللة الصغيرة فاطمة رضي الله عنها .

تآمر المشركين

وشعرَ الأبوان الكريمان بالوحشة بعد زواج رقية وكذلك زواج أم

---

(١) خفراً : حياءً .

(٢) لم تنبس ببنت شفة : لم تتكلم .

كلثوم من عتيبة بن أبي لهب ، ولكن فاطمة كانت تُؤنِسُهما وتُخفِفُ عنهما .

وماكاد الوحي الإلهي ، ينزل على نبي الله ، صلى الله عليه وسلم، يدعوه إلى الدين القويم والصراط المستقيم ، لينذر قومه الضالين، ويهديهم إلى عبادة الواحد الأحد ، وإلى نبذ عبادة الأصنام . حتى اجتمع المشركون ، يريدون التآمر على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فلم يسرَّهم أن يعيشَ نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، مطمئنَ البال ، راضي السريرة . وكيف ؟ وهو يسفّه أحلامهم ، ويدعوهم إلى ترك عبادة الأوثان عبادةِ الآباء والأجداد .

وحارت قريش في أمرها ، كيف تَرُدُّ هذا الصادق الأمين ؟ وتثنيه عمّا جاء به من دين قويم .

وتفتق ذهن بعضهم عن مكيدة دنيئة فقال :

– مالكم يامعشر قريش، تركتم محمدا يخلو من الهموم والأحزان ؟ .

فقالوا له :

– وماذا عسانا نفعل ؟ .

فقال :

– أعيدوا إليه بناته ، واشغلوه بهنَّ عنَّا وعن دينه .

وراقت(١) هذه المكيدة الخسيسة للمشركين ، وتوجهوا خفافاً وثقالاً إلى أصهار النبي ، صلى الله عليه وسلم الثلاثة . وهم أبو العاص ابن الربيع زوج زينب ، وعتبة بن أبي لهب زوج رقية وعتيبة بن أبي لهب، زوج أم كلثوم .

ومضوا إلى أبي العاص بن الربيع زوج زينب قائلين :

– فارقْ صاحبَتَكَ ونحن نزوجك أية امرأة من قريش شئْتَ .

فرفض أبو العاص طلبهم هذا ، لأنه كان يفضلها على أية امرأة أخرى من قريش . وكيف لا ، وهي ابنة خير البشر ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) راقت : أعجبت .

طلاقها

ثم مضوا إلى ولديّ أبي لهب ، عتبة وعتيبة قائلين :
– فارقا صاحبتيكما ونحن نزوجكما أية امرأتين شئتما من قريش.

فاستجاب الأخوان لطلب المشركين ، ففارق عتبة رقيةَ قبل الدخول بها ، واختار فتاة من آل سعيد بن العاص زوجةً له . وكذلك طلّق عتيبة أم كلثوم ، الذي كان الحقد يملأ قلبه ، فلم يَشْفِ غليله مافعل بل راح يوجه الإهانات إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أمام قومه وعشيرته .

فدعا عليه النبي ، صلى الله عليه وسلم أن يُسلط الله عليه كلبا من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه وهم نيام حوله .

حقد حمالة الحطب

ولعبت أم جميل ، زوجة أبي لهب ، حمالة الحطب ، دوراً بارزاً في حياكة المكيدة ، فقد كان قلبها يطفح غيظاً وحقداً على رسول الله ، وعلى ماجاء به من دين قويم .

فتوجهت إلى ابنيها وقالت لهما :

– رأسي من رأسيكما حرام ، إن لم تطلقا ابنتي محمد ، صلى الله عليه وسلم .

واستمرت في غيها وضلالها ، وكرهها للرسول وللإسلام ، فتكاتفت مع زوجها لإيذاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بغيةَ رَدِّه عن دين الإسلام .

وغضب الله عليها في محكم التنزيل ، وعلى زوجها أبي لهب، وخصّها وزوجَها بآية قرآنية مازال الناس يرددونها ويقرؤونها . قال الله تعالى :

﴿ تَبَّتْ(١) يَدَا أبي لَهَبٍ وتبَّ . ما أَغْنَى عَنْه مالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ . وامرأَتُهُ حَمالةَ الحَطَب . في جِيدِها(٢) حَبْلٌ من مَسَد(٣) ﴾ . صدق الله العظيم .

---

(١) تَبَّتْ : تبَّ لغة انقطع ، وخسر وهلك .

(٢) جيدها : رقبتها .

(٣) المسد : الليف ، الحبل من الليف المضفور بشدة ، وهذه الآيات سورة الفيل بأكملها .

وجُنَّ جنون الكافرة المشركة أم جميل ، عندما سمعت ماأنزله الله عز وجل بها وبزوجها ، وزادها كفرا وضلالا ، وانطلقت ترتجف أوصالُها غضباً وغيظاً وكمداً نحو رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهي تحمل في يدها الآثمة حجرا يملأ الكفَّ .

وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم في المسجد عند الكعبة بصحبة الصدّيق أبي بكر ، فلم تَرَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقد أعمى الله بصرها عن رسول الله ، ووقفت قائلة لأبي بكر :

– أين صاحبك ياأبا بكر ؟ فقد بلغني أنه يهجوني ، والله إن رأيته لضربتُ بهذا الحجرِ فاه(١) .

فقال أبو بكر :

– يارسول الله ، أما رأتك هذه الملعونة الكافرة ؟

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

– " لم ترني ، لقد أعماها الله عنّي " .

ويُحسُّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بأن الأيام القادمة لن تكون سهلة مُطمْئِنةً .

---

(١) فاه : فمه .

وهاهو يقول لزوجته خديجة رضي الله عنها منذ أيام البعثة الأولى :
– " لقد مضى عهد النوم ياخديجة " .

أذى المشركين

ويشتد أذى المشركين لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ، ورسول الله يزداد صبراً وقوةً وتمسكاً بالدعوة الإسلامية . فلم يُزَعْزِعْهُ طلاقُ ابنتيه ، بل كان ذلك خيراً لهما ، إِذْ نجاهما الله من العيش مع ابنيْ أبي لهب وامرأتِهِ حمالة الحطب .

ويبدل الله رقية بزوج هو خير من عتيبة ، بل هو خير من كثير من الرجال .

يقول النبي ، صلى الله عليه وسلم مخاطبا عمر بن الخطاب عندما جاء غاضبا من رفض أبي بكر وعثمان الزواجَ من ابنته حفصة :
– " يتزوج حفصةَ مَنْ هو خير من عثمان(١) ، ويتزوجُ عثمان مَنْ هي خيرٌ من حفصةَ " .

---

(١) تزوج حفصةَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

﴿ زواجها الثاني ﴾

وبعد موت أم كلثوم رضي الله عنها يتقدم عثمان بن عفان لخطبة رقية ، وصدَقَتْ نبوءة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ولاعجب فهو صلوات الله عليه ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحيٌ يوحى(١) ﴾ .

يقول النبي ، صلى الله عليه وسلم :
– " مازوجتُ عثمان إلا بوحيٍ من السماء " .

ووافق رسول الله وزَوَّجهُ رقيةَ وبارك لهما زواجهما الميمون ، فكان خير زوج لخير فتاةٍ . فعثمان كان صالحا تقيا ورعا ، ومن أشرف فتيان قريش نسبا ، ومن بين الثمانية الأوائل الذين دخلوا في الإسلام ، وأحد الرجال العشرة المبشرين بالجنة .

بل يلتقي مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قرابةً ، من طرف الأب عند عبد مناف بن قصي ، وكذلك يلتقي معه قرابة من جهة الأم عند عبد المطلب بن هاشم .

---

(١) من سورة النجم الآية /٣–٤/ .

يقول فيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

– كان عثمانُ أوصلنا للرحِم(١) ، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحبُّ المحسنين .

وكان عثمان إلى جانب خصاله تلك مَوْفُورَ المالِ والصحةِ ، عريضَ المنكبين ، جميلَ الطلعة ، وزانَتْهُ الأخلاق الحميدة فازدانَ بها . فقد بَهَرَ جمالُهُ النسوةَ حتى قلن فيه شعراً :

أحسنُ شخصين رأى إنسانُ رُقيةَ وبَعْلُهَا(٢) عثمانُ

وغِيظَ المشركون بهذا الزواج ، فأخذوا يمارسون شتى أنواع التعذيب على كلِّ من يدين بدين الحقِّ ، لابل راحوا يكيدون المكائد ويتربصون برسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وفرضوا على المسلمين الحصار ، وقطعوا عنهم الطعام والشراب ، حتى أضناهُم الجوعُ وأهلكَهمُ العطشُ ، فباتوا يأكلون أوراق الشجر .

ولم يفلح المشركون في رَدِّ رسول الله وأصحابه عن الإسلام ، بل زادهم ذلك إيمانا فوق إيمانهم ، حتى كانوا يفضلون الموت على أن

---

(١) الرَحِم : الأقارب .

(٢) بعلها : زوجها .

يرتدوا عن دينهم . ومما زاد رسول الله حزنا ، أَنْ ماتت زوجته الطاهرة خديجة بنت خويلد ، ومات في نفس العام عمه أبو طالب .

هجرتها إلى الحبشة

وعندما رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ماحَلَّ بأصحابه من البلاء العظيم ، وهو ذو القلب الرحيم قال لهم :

– " لو خرجتم إلى أرض الحبشة(١) ، فإن فيها ملكاً(٢) لايُظلَمُ عندَهُ أحَدٌ، وهي أرض صِدقٍ ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه " .

ويمضي عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الحبشة بصحبة زوجه رقية رضي الله عنها ، والتي كانت ماتزال عروساً لم يمضِ على زواجها إلا اليسير ، وبصحبة رهطٍ(٣) من قريش ممن عمَّرَ الله قلوبهم بالإيمان .

وجزعَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم على فراق ابنته وزوجها والمسلمين ، فكان يسأل عنهما دائما ويلتقط أخبارهما ، حتى أتته امرأة

---

(١) أثيوبيا حالياً .

(٢) هو النجاشي ملك الحبشة .

(٣) رهط : جماعة .

قد رأت رقية وزوجها عثمان في أرض الحبشة .

فقال لها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :
– " منحَهُما الله ، إنَّ عثمانَ أولُ من هاجر بأهلِهِ " .

ورُزقت رقيةُ من زوجها ولدا أسمياه عبد الله ، وعادَتْ بِهِ بعد أن أذِنَ الله لهم إلى مكةَ حيثُ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

و لم تكن تدري ماتخبئ لها السماء ، و لم تتوقعْ أَنْ تعود لتجد أمها قد فارقت الحياة ، وعانقت رقيةُ أختيها أمَّ كلثوم وفاطمة عناقَ المشتاق، وهما تغالبان الدمع وتتصنعان التجلّدَ . وسارعت رقية إلى مخدعِ أمها تذرف الدموعَ وهي متهالكةٌ خائِرَةُ القوى ، ويربّتُ رسول الله بيديه الكريمتين بحنُوٍ وحُزنٍ على كتف رقية ، ليذهبَ عنها الهم والحزن ، وتخلدَ إلى الطمأنينة والصبر .

ويهاجر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم يأذن لأهله بالهجرة ، فكان من أول المهاجرين عثمان وزوجه رقية بصحبة ولدِهِما عبد الله الذي قرّتْ عيناهما به وعينا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ولكن أنىّ لهذه السعادة أن تدوم ، وأنىّ لهذه البهجةِ أن ترفرفَ ، فقد مات عبد الله وهو طفل صغيرٌ لم يتجاوز السادسة من عمره .

وفاتها

تجرعَتْ رقيةُ غصصَ المرارةِ والفراق مرةً ثانيةً ، ولم تقدر على تحمل الحزن والألم ، فخارت قواها ، وذَبُلَ جسدها ، وخاب بريق عينيها ، وتسللت الحمّى إلى جسمها ، فسقطت صريعة المرض ، وجلس عثمان إلى جانب زوجه يخفف عنها عناء المرض وفي قلبه لوعةٌ وفي عينه دمعةٌ . بعد أَنْ أمرهُ رسول الله بالعناية بها ، إِذْ كان قد هبَّ لتلبية نداء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم للجهاد في سبيل الله .

وتُرفرِفُ الرايات ، وتخفق الأعلام ، أعلامُ النصرِ في بدرٍ على المشركين . وما إنْ اقتربت أصوات المسلمين المنتصرين ، المهللين المكبرين معلنةً الانتصار في غزوتها بصحبة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى كانت روح رقيةَ الطاهرةَ تغادر جسدها مفارقة هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء ، إلى جنة النعيم ، إلى جوار ربها .

رحمها الله وأسكنها فسيح جناته .